

إعداد: سفيان بن عبد العزيز

حماية البيئة وفق رؤية إسلامية نبيلة.



لقد أصبحت مهمة حماية البيئة اليوم واحدة من بين أهم المشاريع التنموية التي بدأت غالبية الدول الاعتناء بها، وذلك بعد أن تبين لها أن تلك الحماية ليست ضرورية فقط لصحة الإنسان على المدى القصير والحالي فحسب، وإنما هي بمثابة دافع للتنمية المستدامة أيضا، تلك التنمية التي تحافظ على متطلبات المعيشة للأجيال الحاضرة والأجيال المستقبلية على حد السواء.

لقد تعددت المفاهيم الخاصة بحماية البيئة، حيث يمكن النظر إليها من الزاوية العلمية، كما يمكن النظر إليها من الزاوية القانونية. فالمفهوم العلمي لحماية البيئة ينطلق من توفير كافة الظروف والإمكانيات التي يستطيع فيها الإنسان المنتج استعادة نشاطه تحت ظروف صحية لائقة مع تخصيص قسم من أرباح الإنتاج لحماية وصيانة البيئة ضمن منظومة إنتاجية تتميز بالتخطيط والبرمجة بعيدا عن فوضى الإنتاج، وذلك يستلزم كحد أدنى الاستقرار والوحدة الوطنية ووحدة المؤسسات. إن الهدف من حماية البيئة وفقا لهذا المفهوم هو المحافظة على التوازن البيئي أو الوصول بالبيئة لحالة من التوازن والانسجام بين عناصرها وفقا لقانون الاتزان البيئي. أما من الزاوية القانونية فيمكن النظر الى مفهوم حماية البيئة ووفقا لما جاء به المشرع الجزائري على أنه " حماية للطبيعة والحفاظ على فصائل الحيوان والنبات والإبقاء على التوازنات البيولوجية والمحافظة على الموارد الطبيعية من جميع أسباب التدهور التي تهددها أعمالا ذات مصلحة وطنية"، كما حاول المشرع المصري التعريف بعبارة "حماية البيئة" حيث ينص على كونها المحافظة على مكونات البيئة والارتقاء بها ومنع تدهورها أو تلوثها أو الإقلال من التلوث، وتشمل هذه المكونات الهواء والمجال والمياه الداخلية متضمنة نهر النيل، البحيرات، المياه الجوفية، الأراضي، المحميات الطبيعية والموارد الطبيعية الأخرى.

سلام إبراهيم عطوف كبة، صيانة البيئة الوطنية مهمة ملحة

للمزيد انظر الموقع:

www.uluminsania.net

الجريدة الرسمية، قانون حماية البيئة الجزائري رقم 83/03 المؤرخ في 07 فبراير 1983، المادة 08، العدد 06، 1983.
عبد الفتاح مراد، شرح تشريعات البيئة في مصر والدول العربية محليا ودوليا، مصر: دار نشر الكتب والوثائق، 1996، ص 359.

وبين هذا وذاك (العلم والقانون) نجد أن للشريعة الإسلامية وجهة نظر خاصة بالنسبة لموضوع حماية البيئة، فبما ترى ماذا يقول الإسلام في هذا الإطار؟

لقد خلق الله البيئة خلقاً مقدرًا كما وثيقاً، وهي تسير حسب نظام بديع ودقيق، فالسما عالية والأرض مبسطة، والجبال راسية، والبحار جارية، والشمس مسخرة، والقمر منير، وكل شيء يؤدي دوره في دقة متناهية مرت عليها بلايين السنين، وهي في يد القدرة الإلهية. يقول الله تعالى: "إن الله يمك السما والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن امسكها من احد من بعده انه كان حلماً عفورا" (سورة فاطر. الآية 41)، وقال أيضاً "إنا كل شيء خلقناه بقدر" (سورة القمر. الآية 49)، ويقول أيضاً: "ونبتنا فيها من كل شيء موزون" (سورة الحجر. الآية 19) ويقول تعالى: "صنع الله الذي أتقن كل شيء" (سورة النمل. الآية 88). هذه الآيات البينات الكريمات من كتاب الله تدل على أن نظرة الإسلام الى البيئة تتسم بالعمق والواقعية والشمول، ولم تقتصر على البعد المكاني الذي أبرزه المفهوم العلمي والقانوني فحسب، بل شملت أيضاً البعد الزماني في قوله تعالى: "قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق" (سورة العنكبوت. الآية 20). فالآية ترسي علم الجيولوجيا، وتدفع الباحثين الى التنقل بين أرجاء الأرض لجمع ما تبقى من أجسام الكائنات التي عاشت عليها، وبقايا العناصر مثل اليورانيوم وبريطون بينها من اجل تتبع تاريخ الأرض وبيئتهم المحيطة بهم. ولإبراز هذه الشمولية الإسلامية في المحافظة على البيئة، اتخذ الإسلام خطوات فريدة لحماية الصحة والبيئة وسلامة الحياة وأجزها الدكتور العلامة يوسف القرضاوي في مايلي:

أ. **النظافة والتطهير:** على أن الطهارة من شروط عديد العبادات، خاصة الصلاة ولذا شاعت بين المسلمين مقولة "النظافة من الإيمان"، ولعل أبرز الإجراءات الوقائية لحفظ البيئة البشرية هي عناية الإسلام بتربية الإنسان على الطهارة والنظافة والدعوة الى تنظيف الجسد والثياب والأواني والأثاث وقد جاء ذلك البيان القرآني في قوله تعالى: "وثيابك فطهر" (سورة المدثر. الآية 03)، وقوله أيضاً: "وان كنتم جنبا فاطهروا" (سورة المائدة. الآية 06)، وهذا جعل الطهارة وحماية البيئة من التلوث نعمة يجب الشكر عليها لله سبحانه وتعالى وبها تتم النعم، ومنه نفهم أن نعمة الصحة والسعادة والمال... الخ، تعتبر ناقصة من غير طهارة البيئة وحمايتها من التلوث والفساد.

ب. **الحفاظ على صحة الإنسان:** حيث يدعوا الإسلام الى المحافظة على الصحة وهذا يحتاج أساساً للحفاظ على البيئة، وذلك بدءاً بطلب العافية، ومروراً بالوسائل التي تجلب العافية، والمحافظة على سلامة البدن. ويتسامى الفكر الإسلامي والفهم الحضاري في ذلك عندما يقرر أن الله خالق الوجود يجب ويريد للعباد تلك الحياة الطبيعية الطاهرة التي لا تلوث فيها ولا قذارة بما يتسبب بضرر لصحة الإنسان، وجاءت هذه الدعوة مكرسة في قوله تعالى "ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون" (سورة المائدة. الآية 06).

ت. **المحافظة على الموارد:** وذلك مصداقاً لقوله تعالى: "ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها" (سورة الأعراف. الآية 56)، والإفساد يكون بالإتلاف وتقويت المنافع أو التلوث والإسراف، ولذا نهى النبي ﷺ عن ذبح الشاة الحلوب وقتل الطير بغير منفعة، وذلك بدليل قوله صل الله عليه وسلم: "من قتل عصفوراً عبثاً عجز الى يوم القيامة، يقول: يارب إن فلانا قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة" (حديث شريف). كما حرم قتل الروح بغير حق لقوله تعالى "من اجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً" (سورة المائدة. الآية 32) فالقتل ينجم عنه سلاسل من السلبات والآثار المتداخلة التي يمكن أن تعم المجتمع كله مما يؤدي الى انتشار الجرائم واقتراض النوع وانقطاع النسل.

ث. الإحسان الى البيئة: أي الاهتمام بكل ما تحويه البيئة من حولنا من كائنات خاصة تلك المرافقة للإنسان في حياته اليومية، فقد كان الرسول ﷺ يميل للقطعة الإناء حتى تشرب ثم يتوضأ بفضلها، وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ينهى عماله على تحميل الإبل مالا تطيق كما كان ينهاتهم عن ضربها بالحديد، وهذا إن دل عن شيء فإنما يدل على تلك العناية الراقية بكل متطلبات وعناصر البيئة والتي يستطيع الإنسان من خلال تجسيد معانيها أن يحيى حياة ملؤها الراحة والطمأنينة تحت كنف بيئة نقية وجميلة.

كما أن من أبرز الخطوات التي توصي بها الشريعة الإسلامية السمحة والتي يجب عدم إغفالها حتى نحافظ على بيئة نظيفة، تتعلق أساسا بضرورة التوعية والتثقيف وحرية الإنسان على العناية بالصحة والطبيعة، وحماية الأحياء والحياة على هذه الأرض، منطلقا من مبدأ عقدي هو أن ما صنعت يد الخالق عز وجل يتصف بالكمال والإتقان والصلاح ولا شيء خلق عبثا في هذا الوجود، وذلك مصداقا لقوله تعالى: "وخلق كل شيء فقدره تقديرا" (سورة الفرقان. الآية 02).

وفي الأخير يمكننا أن نستخلص من هذا المنظور الإسلامي أن حماية البيئة من التدهور أو الفناء نتيجة للسلوكيات البشرية الخاطئة يمكن أن تتم بداءة من قاعدتين شرعيتين أساسيتين هما "لا ضرر ولا ضرار" و"درء المفاسد مقدم على جلب المصالح"، فوفقا لهاتين القاعدتين يجب أن يتم السلوك والنشاط الإنساني بحيث لا يحدث منه ضرر للنفس ولا للغير حتى إن تضمن منافع، فالأولوية يجب أن تعطى أولا للتخلص من المساوئ والأضرار الناجمة عن السلوك أو النشاط، وبعد ضمان تحقيق ذلك يبدأ الاهتمام بتحقيق المنافع المرتبطة بذلك السلوك أو النشاط، كما يمكننا أن نخلص كذلك الى أن مبدأ "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"

لهو أساس عريض لحماية البيئة وحفظ نظام الطبيعة، فالآية تنهى عن العدوان على الطبيعة والحياة، وتدعو الى التعاون على الخير والإصلاح، والله الموفق والهادي الى سواء السبيل.



للمزيد انظر الموقع : www.uluminsania.net

سلام إبراهيم عطوف تبة، صيانة البيئة الوطنية مهمة ملحة

الجريدة الرسمية، قانون حماية البيئة الجزائري رقم 83/03 المؤرخ في 07 فبراير 1983، المادة 08، العدد 06، 1983.
عبد الفتاح مراد، شرح تشريعات البيئة في مصر والبول العربية محليا ودوليا، مصر: دار نشر الكتب والوثائق، 1996، ص 359.

عبد الله شحاته، رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، 2001، ص 14.
محمد محمد الشاذلي / علي علي المرسي، علم البيئة العام والتنوع التكنولوجي، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، 2000، ص 04.



ISSN 2170-0796